النزعة التربوية في ضوء التوجه الإسلامي

دراسة تحليلية لجملة من المؤثرات

د/ بوبعيو" بوقشبية " حكيمة

جامعة سكيكدة

ملخص:

تهدف هذه الدراسة التحليلية إلى كشف النقاب عن أهم التوجهات التربوية المعاصرة المتجسدة في النظام التربوي الذي يفرزه الواقع الثقافي بكافة ملابساته على مستويات عدة منها النظامي و الأسري و الاجتماعي، مع إرساء القواعد المنسجمة مع القيم الاجتماعية للمجتمع.

و لقد حاولنا في هذا السياق أن نلم ببعض الفلسفات التي رأينا أنها تحمل في طياتها جملة من الأفكار و العناصر التي لا تتنافى مع العقيدة الإسلامية على الرغم أن البعض من أبعادها لا يلتقي دائما مع ما ينحو إليه الفكر التربوي الإسلامي نظرا لتشبعه بالدين الحنيف الذي يمثل فلسفة في الحياة من حيث المناهج المطبقة في كيفية تصحيح المسار التربوي و توجيهه الوجهة السليمة التي تنسجم مع تراثنا و عاداتنا و تقاليدنا الأصيلة التي تؤمن بالعدالة الفردية و الاجتماعية دون ميز، فضلا عن إيمانها بالأسس التربوية التي تجعل من المتعلم طرفا فاعلا في العملية التربوية.

Résumé

l'objectif de cette étude analytique vise a dégager les tendances vers lesquelles l'éducation islamique essaye de s'orienter sous couvert de différentes philosophies telles que la philosophie existentialiste- marxiste- idéaliste, et bien d'autres philosophies qui émanent d'une série d'idéologies, dont certaines se rencontrent avec les normes et les valeurs et les principes de l'Islam qui voient en l'éducation un moyen de stabilité et d'épanouissement et de développent dans la société. D'ailleurs le Coran en est un moyen référentiel très important.

توطئة :

لا شك أن عالمنا المعاصر يعيش ظروفا إنسانية و اجتماعية و اقتصادية و سياسية يمكن اعتبارها ظروفا استثنائية، وذلك في ظل اهتزاز القيم و تغير المعطيات السياسية و الاقتصادية و تفاعلاتها المتسارعة.

و بحكم أن الواقع الثقافي و الاجتماعي يتأثر بتلك المعطيات السابقة، بما يفرزه من نظم تربوية و سياسية واجتماعية في ضوء مقتضيات الحداثة و التجديد التي لم تبق على ما كان سائدا في المنظومات السالفة إلا الترر اليسير، فأي الأطر أو الاستراتيجيات التي يمكن أن تعتمدها الأنظمة العربية والإسلامية في الظرف الراهن، للمحافظة على تماسك هوياتها الوطنية و القومية من جهة، و محاولة التحرر من التبعية لثقافة الآخر من جهة أخرى؟ لاسيما أن المنظومة التربوية الحديثة في أمس الحاجة إلى إحداث تقويم جذري إذا ما أرادت ضمان بقاءها و تجديد مناهجها و رؤاها في خضم هذه الاهتزازات التي أحدثتها تداعيات العولمة في مختلف مناحي حياتنا المعاصرة.

ويجب التنويه – منذ البدء – إلى أن النظام التربوي يتبوأ مركز الصدارة في هذا السياق بالنظر لتلك العلاقة المباشرة بطرق التنشئة المعمول بها على المستوى الأسري و الاجتماعي و النظامي.

و إذا ما أريد للنظام التربوي أن يؤدي الأدوار المنوطة به، فإن تحقيق ذك يقتضي إرساء قواعد عملية عمادها الأصالة و التجديد، الأصالة التي تنسجم مع القيم الاجتماعية للمجتمع، و التجديد الذي يتماشى و التطورات الفكرية و المادية التي تحدث في العالم و الذي من شأنه خلق التوازن بين المجتمع العربي و المجتمع الدولي معا.

و بطبيعة الحال، فإن الأسس التي يبنى عليها النظام التربوي كثيرة و متنوعة، إذ أنها تلم بما هو فلسفي – ديني – تاريخي – نفسي – اقتصادي – ثقافي – سياسي، و بحكم تشابك هذه الأسس و تفاعلها و تكاملها أحيانا، وتناقضها أحيانا أخرى في بعض المواقع فإن الأمر ليس باليسير في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة بنسبة عالية.

و ليس البحث عن أطر منهجية بديلة عمادها الدين في مبادئه العامة، و توجهاته الروحية المنبثقة عن العقيدة يعني حتما تهميش مختلف الرؤى و التوجهات التربوية العامة المنتهجة من قبل مختلف المؤسسات التربوية و التعليمية في العالم الحديث و المعاصر، فبلوغ المعرفة الإنسانية في مختلف أصنافها و توجهاتها ليس حكرا على جنس بشري دون آخر، أو على أمة دون أخرى، إنما التركيز على كيفية البحث في المعرفة الإنسانية دونما الخروج عن ما سنه الله من حدود في اكتساب هذا العلم و تحصيل تلك المعرفة، ومن هنا جاءت هذه الدراسة التي تنتهج نهجا عربيا إسلاميا ينظر إلى المجال التربوي في إطاره الذي يتوخى بعدا مرتبطا بأصالة الأمة العربية الإسلامية دونما إقصاء للمجالات التربوية الحديثة في العالم الغربي.

ـــ في ماهية النظام التربوي

نعني بالنظام التربوي في هذا السياق تلك الأنشطة التعليمية المنتظمة التي توجهها فلسفة تربوية محددة، مؤسسة على أهداف معينة، انطلاقا من سياسة تربوية تعليمية مرتكزة على مناهج و برامج تعليمية معتمدة على وسائل و أساليب و طرق تدريس تقودها إستراتيجية تربوية واضحة.

وهناك فئة من الباحثين و المهتمين بالحقل التربوي التعليمي في عصرنا الحديث ممن يربطون مفهوم النظام التربوي بمفهوم البنية التعليمية و يستعملونها على سبيل الترادف، ومن أبرز هؤلاء في الوطن العربي تحديدا د/ سعيد التل الذي أطلق على العناصر السالفة و عناصر تعليمية أخرى مصطلح " بنية التعلم "، ويعني بذلك بنية النظام التعليمي، وقد عرف هذا الباحث التربوي تلك البنية: " بأنها الهيكل الارتقائي العام الذي يحدد مسار أو مسارات التعليم و مراحله، و عدد السنوات في كل مرحلة و تشعبات بعض تلك المراحل و تفرعاتها، و شروط التحاقها، بحيث تنتظم في إطار هذا الهيكل التنظيمي الارتقائي الخبرات التعليمية المتنوعة التي تنبثق منها برامج هذا النظام التعليمي ووسائله لتحقيق أهدافه و تأدية رسالته" "1".

و يبدو أنه كلما تقدمت مسيرات الأمم و توسعت ركحة ثقافتها و حضارتها و تنامت طاقتها البشرية في ميدان العمل توسع النظام التعليمي و أضحى أكثر تعقيدا من حيث لملمة أشتاته و تحديد جزئياته.

و يلاحظ أن مثل هذا التعقيد قد يفرز عددا من المشاكل في البنية و الطريقة و الأهداف و الغايات التي يتوخاها هذا النظام، فضلا عن أن بقاءها و استفحالها سيؤثر سلبا ـــ لا محالة ـــ على المنظومة التربوية ككل، مما يقتضي خلق إستراتيجية تقويم فعالة يفترض أن تكون مبنية على الشروط التالية:

ـــ الأخذ بعين الاعتبار احتياجات المجتمع و مشكلاته و ذلك بالعودة إلى مختلف الفلسفات و النظريات التربوية الحديثة السائدة في العالم المعاصر، قصد استخلاص النتائج الإيجابية و الفوائد الملموسة.

ـــ لابد من الإقرار بأن التفتح الواعي على ثقافة الآخر يعد مكسبا هاما يجب أن لا نبخسه ما يستحق من القيمة و الأهمية، لذا كان لزاما على المخططين و رجال التربية ضرورة تمييز بين ما يتماشى مع تراثنا و قيمنا العربية و الإسلامية، إذ أن التفتح على

ثقافة الآخر ينبغي أن يسوده شيء من الحيطة و الحذر في ظل هذا الجدل القائم حول الأصالة و المعاصرة، و نذهب إلى هذا الاعتقاد في ظل الإيمان بأن هناك إيجابيات عدة محتواة ضمن المنظومة العربية الحديثة يجب عدم القفز عليها أو التفريط فيها.

ـــ و لا يخفى بأن المسلمين كانوا على دراية بما حققته الثقافة اليونانية و الرومانية في مجالات التربية و التعليم، و على الرغم من أن هذه الثقافة لا تمت بوشائج الصلة للإسلام و المسلمين، ومع ذلك فإن هؤلاء المسلمين كانوا على وعي بضرورة الأخذ من تلك التربية و الاستفادة من بعض وسائلها المادية و المعنوية لإيمانهم بأن العقيدة الإسلامية لا تقف حجر عثرة أمام ما يحققه الإنسان في مجال التربية من جهة، و لإيمانهم أيضا بضرورة الأخذ مما يفيدهم و يثري حياتهم من جهة أخرى، وعليه فإنهم لم يوصدوا الأبواب دون ذلك الثراء التربوي و المعرفي المتأتي من هذا الآخر. "2"

– وفي مثل هذه الحالة فإنه يتحتم ضرورة تطبيق سياسة انتقائية ذات عناية قصوى فيما يتعلق ببعض القضايا التي قد لا تتماشى مع العقيدة الإسلامية و بذلك نحافظ على تحقيق الفعالية التربوية المنشودة، وهناك شروط أخرى يمكن أن تتضمن أهمها:

أ– عنصر الترابط:

ونعني بذلك مدى الانسجام بين مختلف المكونات المنحصرة أساسا في الإستراتيجية التربوية التي تتوزع إلى الأهداف و الخطط و البرامج و المناهج و الأساليب و الوسائل، فمثل هذه العناصر تتكامل فيما بينها و تثري بعضها بعضا، فإذا أصيب أي عنصر بالإخفاق أو تعذر تطبيقه، فإن ذلك سيؤثر سلبا على سير العمل التربوي.

ب– عنصر المرونة:

تعد المرونة من أهم المواصفات المحفزة على استمرارية النظام و قبوله من أغلب شرائح المجتمع، وفي هذا السياق يذهب أحد الباحثين إلى تأكيد ما يتصف به النظام التربوي الإسلامي من دينامية و مرونة في إجراءاته التنفيذية بحيث تكون قابلة للتطوير و التجديد المستمرين، وذلك تماشيا مع ما يقتضيه العصر من تغيرات "3".

ج– عنصر الأصالة:

يتحدد عنصر الأصالة – أساسا — من أن النظام التربوي يستمد أصوله و أسسه وأركانه من منظومة الدين الإسلامي، و ما يشمله من رؤية تربوية ذات علاقة وثيقة بالواقع الاجتماعي، و ما يترتب عنه من حاجات و ما يواجهه من تحديات، و ذلك في ضوء جملة من القيم ترمي إلى تأكيد مبادئ الحرية و العدالة الاجتماعية و إتاحة الفرص لجميع الفئات الاجتماعية من ذوي الاستعدادات و القابليات و الاجتهادات المتكافئة.

وينطبق ذلك تحديدا على ما يذهب إليه عيد محمد البيومي الشيباني قائلا: " .... لا يكون مسار تعليمي لخاصة الناس، و مسار تعليمي آخر لعامة الناس، و تعليم أكاديمي لخاصتهم، وبحيث يكون استعداد المتعلم و قابليته و اجتهاده و ميوله هي العوامل الوحيدة التي يحدد على أساسها نوع و مستوى التعليم لهذا المتعلم" "4".

– خطوات البناء و الإصلاح

و في ضوء الطرح السابق يتجلى أن ضمان جودة النظام التربوي يقتضي تحسين العناصر التي يتشكل منها من مادية و غير مادية، على أن يظل للجانب الفلسفي دوره في هذه العملية المتشابكة، إذ أن المنطق العلمي يفرض حضوره هنا لدوره الفاعل في تزويد المخططين التربويين بالمعايير العلمية المطلوبة من جهة، و إرشادهم إلى العلاقة التفاعلية بين مختلف العناصر التي يتألف منها هذا النظام من جهة أخرى. ثم إن كل هذه الأهمية مستمدة من كون الفلسفة التربوية ذات طبيعة إرشادية معيارية تحليلية نقدية.

و يرى صادق سمعان في هذا الصدد: " أن الفلسفة تجيب عن التساؤلات المختلفة في مجال التربية و التعليم، و تبين و تبرز الافتراضات الأساسية التي تقوم عليها الأحكام التربوية، و العلاقة التي تربط التربية بالثقافة و الفلسفة السائدتين في المجتمع، كما تبين و تقترح ما ينبغي أن يكون في مجال التربية، و توجه إلى التناقضات الموجودة بين النظريات التربوية المختلفة، و تقوم بتحليل و

نقد و توضيح المبادئ و المفاهيم و المصطلحات المستخدمة في المجال التربوي، بحيث تجعل العاملين في المجال التربوي يتفقون في فهمهم لمدلولات الألفاظ و العبارات و المفاهيم الأساسية المستخدمة في مجال عملهم و اهتمامهم" "5".

و لعله يفهم من هذا الطرح أن أهداف التربية من المنظور الإسلامي تنبثق من مختلف مكونات التربية الإسلامية، وهي رغم تعددها و تفرعها تنتهي إلى تحقيق الغاية النهائية للتربية المجسدة في عبادة الله وتعمير الكون، بالإضافة إلى أهداف أخرى تصب في المصب نفسه أهمها:

- بناء الإنسان المؤمن بربه و بأنبياء الله و رسله و بما أنزل عليهم من كتب سماوية، و باليوم الآخر و بالقضاء و القدر.
- تحقيق نهضة علمية و ثقافية و فنية على أساس من مبادئ الدين و قواعده الخلقية، و لا يتم ذلك إلى من خلال نشر التعليم و شموليته و تيسير سبله لكل الراغبين في ذلك، و مكافحة الأمية التي تعد من أهم مظاهر التخلف الثقافي في المجتمع، و عقبة كأداء في سبيل تقدمه و بث الوعي بأهمية التعليم عبر جميع الوسائل الممكنة، و تشجيع البحث العلمي و التأليف و الترجمة في جميع مجالات المعرفة و الفكر و الفن في إطار مبادئ الدين و قيمه، و إحياء التراث الفكري الإسلامي النقي من كل الشوائب مع العناية بتحقيقه و شرحه.
- تزويد الإنسان بسلاح العلم و المعرفة، و تمكينه من امتلاك وسائلهما الأساسية و التوسع في ثقافته، فضلا عن توعيته بمشكلات مجتمعه و أمته و عصره.
- بناء مجتمع موحد يسوده الوئام و الوفاق و الانسجام، و حرية الرأي و العقيدة و التسامح، و الشعور بالولاء للدين و الأمة، و ذلك بواسطة التربية السامية السليمة.
- بناء مجتمع متقدم اقتصاديا يسوده التخطيط الاجتماعي و الاقتصادي الشامل و المتكامل الذي يستجيب لحاجات الأمة و يتماشى مع إمكاناتها المادية و البشرية.
- المساهمة في رفع مستوى العمليات التربوية نفسها، و في تحسين الخدمات التعليمية لتستطيع تحقيق الأهداف الفردية و الاجتماعية في جميع الأبحاث التربوية و النفسية و الاقتصادية في ضوء انتقائها لأهم المبادئ و الأفكار "6".

أ- الفلسفة البراغماتية:

حين نتناول فلسفة مثل الفلسفة البراغماتية فإننا نجدها قد تطورت في نشأتها و تطورها و في خصائصها ومكوناتها بالتراث التجريبي البريطاني الذي يولي الأهمية القصور للخبرة العلمية في اكتساب المعرفة.

نشأت هذه الفلسفة في أواخر القرن التاسع عشر كردة فعل إزاء الفلسفات التربوية التقليدية كالفلسفة المثالية و غيرها، وقد دب فيها شيء من الضعف في بداية الأربعينيات من القرن الماضي، و ذلك على أثر عدد من العوامل و الظروف و الأحداث مثل الأزمة الاقتصادية العالمية الكبرى في ثلاثينيات القرن العشرين "7".

ب- الفلسفة المثالية:

تعد هذه الفلسفة من أقدم الفلسفات التي عرفها عالمنا، وقد تميزت بأفكارها المثالية المبنية على الإعلاء من شأن العقل و الروح في الطبيعة البشرية، و تأكيدها على قيمة حرية الاختيار و المسؤولية في الأخلاق، و نظرتها إلى التربية على أنها مؤسسة اجتماعية و علمية فردية و اجتماعية تستهدف نمو الفرد و المجتمع معا، و قد انصب اهتمامها في المناهج الدراسية على المواد التي تصقل الروح و تدرب العقل، لذا ركزت على الدين و الأخلاق و التاريخ و الآداب و الفن بعامة، و العمل على منح دور المعلم المكانة المنشودة في الأداء التربوي.

بيد أن ما يمكن أن يعاب على هذه الفلسفة هو إفراطها في تغليب دور المعلم على المتعلم، في حين أن المناهج التعليمية الحديثة لا تقر هذا المبدأ لما يحتويه من السلبيات أهمها أن المتعلم يصبح مهمشا في الدائرة التعليمية في حين هو طرف فاعل في وجود هذه الدائرة و في استمراريتها

ج- الفلسفة الواقعية:

تتميز هذه الفلسفة بإقرارها بالبعدين المادي و الجسمي في الكون و الإنسان، فضلا عن إيمانها بقيمة المنهج التجريبي و العلمي في بحث القضايا و المشكلات و كيفية ربطها بالمسائل التربوية، و اهتمامها بالعلوم الطبيعية في مناهج التعليم، إلى ما هنالك من الخصائص و الأفكار الواقعية التي لا يجد المسلم حرجا في قبولها و الاستفادة منها، إلا أن ما يعاب على هذه الفلسفة ذات التوجه الواقعي البحت، هو إهمالها للمواد ذات العلاقة بالدين و الأخلاق "9".

د- الفلسفة التحليلية:

تنطلق الفلسفة التحليلية من مرتكزات تنحصر أساسا في تحليلها و تقويمها للغة المستخدمة في التربية قصد الوصول إلى المعنى الحقيقي للأشياء، إلا أنه من الصعوبة بما كان تقبل المبالغة المفرطة في تحليل الألفاظ و المفاهيم و المصطلحات و الجمل و القضايا من الوجهة اللغوية و المنطقية، و اعتبارها للقضايا الغيبية ومنها القضايا الدينية و الخلقية التي لا يمكن ملاحظة مضمونها في العالم الخارجي، و لا يمكن البرهنة عليها تجريبيا و لا تحليليا في نطاق منطقي علمي.

و انطلاقا من هذا الاعتقاد الذي تجسده هذه الفلسفة فإنه يمثل تصادفا مع ما يذهب إليه الإسلام و المسلمون في آن معا، حيث تؤدي هذه النظرة إلى الشك في جميع نظريات الفلسفة و التربية التي لا يمكن إثبات مضمونها تجريبيا و تحليليا في نطاق علمي مادي فحسب "10".

ه- الفلسفة الوجودية:

من المسلمات التي تنتهجها مثل هذه الفلسفة تأكيدها على أهمية تحليل الواقع الاجتماعي على أساس واقعي غير ميتافيزيقي، و إعلائها من شأن حرية الإنسان و أصالته و اعتباره مسؤولا عن تصرفاته، فضلا عن تأكيدها عن أهمية العمل و دور البيت الأسري في تربية النشء و ما يرتبط بنظرتها إلى الكون على أساس أنه فاقد للمعنى، و أن الإنسان يصنع نفسه، و أنه يعيش و يموت في عالم غير ذي معنى و دعوة بعض أتباعها أمثال إلى قصر التعليم على الصفوة ذات القدرة العالية، و لعل في مثل هذه النظرة ما يرسخ مبدأ التعسف أكثر مما يرسخ مبدأ العلاقة الاجتماعية و تكافؤ الفرص، و في مقابل ذلك فإن المنهج التربوي الإسلامي يدعو إلى الإنصاف، و الجمع بين ما هو مادي و ما هو روحي في الوقت نفسه " 11".

و- الفلسفة الماركسية

لعله ليس مستغربا أن نعثر في الفلسفة الماركسية على الكثير من العناصر و الأفكار التي لا تتنافى أو تتناقض مع العقيدة الإسلامية، كما هو الشأن في إيمان هذه الفلسفة بضرورة توفير التعليم الإلزامي المجاني لجميع أبناء المجتمع في مدارس عامة تفتح أبوابها للجميع دون تمييز، فضلا عن إلغاء عمالة الأطفال، سواء في المصانع أو في غيرها من الأعمال التي لا تناسب أعمارهم و طاقاتهم، و بضرورة ربط التعليم بالإنتاج و بضرورة الترابط الداخلي الدينامي بين المعرفة و العمل، و بضرورة النظرة الذاتية للمعرفة.

و إذا كانت الفلسفة الماركسية تتماهى مع بعض العناصر التي تستثمرها العقيدة الإسلامية في النظام التربوي بعامة، فإن ذلك لا يعني التماهي الكلي بل إن هناك قضايا كثيرة تمثلا اختلافا جوهريا لا يمكن الاتفاق بشأنه أو حتى تقريب وجهات النظر إزاءه لاسيما ما يتعلق بالمادية المفرطة التي تطغى على الجوانب الروحية إلى درجة الإلحاد و إعلان العداء للدين.

ز- الفلسفة التقدمية:

تلتقي هذه الفلسفة في كثير من عناصرها مع الفلسفة البراغماتية كإيمانها بكرامة الإنسان و خبرته و حريته و ضرورة احترام ميوله و حاجاته، و تشجيع أنشطته الذاتية التي تبتعد عن طريقة التلقين اللفظي و تركيز المنهج الدراسي على المشروعات التي تهم التلميذ وجعله البؤرة الأساسية في العملية التربوية بخلاف ما هو سائد في المناهج التعليمية.

و من المآخذ التي يمكن ملاحظتها عن هذه الفلسفة توجهها الفردي الذي يبلغ مستوى من المبالغة المفرطة، إلى جانب ضعف اهتمامها الاجتماعي و إهمالها لتربية الموهوبين، و لتدريس المهارات الأساسية و المواد و المقررات ذات القيمة الكبيرة في التدريس "12".

إن المتأمل في محتويات مثل هذه الفلسفات قد يستنتج أن هناك من الأساليب التربوية ما يؤخذ بعين الجدية و الاعتبار، و لاسيما ما يتماشى و المقومات التربوية للنظام التربوي الإسلامي، و التي تتضمن الإصلاحات البناءة ذات التأثير الإيجابي على العمل التربوي في مختلف مظاهره و جوانبه، و في هذا المجال نلاحظ أن هناك من المبادئ التي يصعب على الفلسفة التربوية تجاوزها، كتلك التي تتعلق بطبيعة الكون، و طبيعة الإنسان، و المجتمع و المعرفة البشرية و القيم الأخلاقية.

ح- طبيعة الكون:

إنما نعنيه بالكون هنا هو كل ما له علاقة بالمخلوقات المادية و غير المادية المتمثلة في المادة و الروح و الحركة و الزمان و المكان، و بحكم أن الإنسان هو جزء من هذه المخلوقات فهو يؤثر فيها و يتأثر بها من خلال تفاعلها معها، و لعل ذلك التفاعل سيساعده على اكتساب جملة من المعارف و المهارات و القيم باختصار أنماط سلوكية معينة وفقا لسياق تربوي ينحو نحو الاهتمام بالمادة و الروح معا، حيث إن الحياة الإنسانية المتكاملة قد لا تتحقق إلا بالتوازن بين الأمرين، و بطبيعة الحال فإن المسلم المتسلح بالوعي و العمق الإيماني لا يرفض المادة و لا يقلل من شأنها في حياته الدنيا، بل يقدرها و يجلها معتبرا إياها نعمة من أنعام الله التي تستحق الشكر و العرفان، مع تحاشي الإسراف في استخدامها و التمتع بها، حتى لا تنقلب النعم إلى النقم تماشيا مع قوله تعالى: " و لا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين " "13".

ثم إن التغير الذي يحدث في العالم بمختلف مظاهره و عناصره و أجزائه يخضع لإستراتيجية محكمة منها ما له علاقة بالتوجهات التربوية التي يتقيد بها الإنسان في ضوء ما يتماشى مع عقيدته التي تعني خضوعه لناموس الطبيعة المتماشي مع ما منحه الله للإنسان من حرية الاختيار و الإرادة، مصدقا لقوله تعالى: " إن كل شيء خلقناه بقدر " "14".

كما أن خضوعه هذا يتأثر – لا محالة – بمؤثرات مختلفة لعل أهمها عامل التربية و التوجيه الذي يتلقاه في المؤسسات التربوية و التعليمية بعامة.

ط- طبيعة الإنسان:

لقد خلق الله الكون بكل ما يشمله من مخلوقات، و فضل الإنسان على جميع مخلوقاته، بل سخرها لخدمته و السهر على حياته،و من ثم ميزه بميزة العقل التي كانت حكرا عليه دون غيره من تلك المخلوقات، فضلا عن الروح و البدن، و تعد هذه المركبات مترابطة متجانسة، و ذلك وفقا لقوله تعالى: " إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " "15".

وقوله – جلت قدرته – منبها لما يجب أن يطبقه الإنسان المسلم في حياته الدنيا من أجل ضمان جزاء الآخرة: " و ابتغ في ما أتاك الله الدار الآخرة، و لا تنس نصيبك من الدنيا" "16".

وقد حث الرسول صلى الله عليه و سلم المسلمين على ضرورة العناية بالبدن قصد تحقيق التوازن في الحياة الدنيا بقوله: إن لبدنك عليك حقا.

و لعل هذه الشواهد الدينية و غيرها كثير تدل على أن الإنسان نتاج لعاملي البيئة و الوراثة و يبدأ هذان العاملان عملهما و تأثيرهما و تفاعلهما منذ بداية عملية التكوين، ثم يستمران في عملهما و تفاعلهما إلى نهاية حياة الإنسان، غير أن عملية التأثير تتماشى وفقا للسن و مرحلة النمو و نوعية العلاقات الاجتماعية التي يقيمها الإنسان، فضلا عن دائرة خبراته و تفاعله مع بيئته.

و بالإضافة إلى ذلك الإطار العام الذي يمثله الكتاب و السنة في حياة الأمة العربية الإسلامية كمنهاج معتمد في مختلف مجالات النظام التربوي، فإن هذه الأمة تعيش مستويات من التفاعل الثقافي المعرفي و الحضاري، و من ثم فإن لتلك الثقافات و المعارف و

القيم دورا فاعلا في خلق ذلك التمازج التربوي الذي يتولد بواسطة التربية و التعليم و التدريس و التوعية و التفاعل مع البيئة، ليمثل ذلك كله شبكة من التفاعل المعرفي و الخبرة الإنسانية التي تتطور بتطور هذا المخلوق المتميز بنعمة العقل و الفكر.

ل– المعرفة الإنسانية:

تشكل المعرفة الإنسانية أحد أهم الأهداف التي تعمل التربية الإسلامية دوما على التمسك بها و السعي لبلورتها و انتشارها عبر كل الوسائل، و يتجلى ذلك في التعليم و البحوث، و مختلف الجهود العلمية قصد تنمية المهارات و الاتجاهات و الميول و بحكم هذه الأهمية رفع الله من شأن العلم و العلماء بقوله تعالى: " يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين آتوا العلم درجات " "17".

يحظى العلم بعناية الله و رعايته حيث يعتبره الموضوع الأسمى و الموضوع الحق الذي ينبغي أن يتجه إليه الإنسان في معرفته بواسطة عقله و تأمله الفكري، و يضاف إلى هذا النوع من المعارف معرفة ما يخص حقائق الكون و شؤون المجتمع و الحياة، و يمكن إدراج معرفة النفس إذ من عرف نفسه عرف عيوبها و عرف كيف يسوسها، و من عرف و أحسن أن يسوس نفسه فقد أحسن أن يسوس العالم، و من ثم لم يجد عيبا في غيره إلا و أدركه في ذاته ظاهرا أو باطنا، فلا يكون همازا و لا لمازا و لا عيابا "18".

و في ضوء ما سبق يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

– لقد تعددت الطرق و المناهج التعليمية التي يمكن من خلالها تحصيل المعارف الإنسانية و العلمية، و ذلك بتعدد الثقافات وفق مشاربها الروحية و اعتقاداتها الدينية.

– و قد لوحظ في ظل هذه الدراسة كيف أن لكل نظام تربوي تعليمي خطواته التي يتوسل بها لنشر العلوم و المعارف و الفنون، و من ثم فأن الخطوات التي ينتهجها النظام التربوي ذو النزعة الإسلامية – على سبيل المثال – يكاد لا يختلف من حيث الشكل عن باقي الأنظمة التربوية الأخرى، إلا أنه يختلف عنها من حيث الجوهر، حيث يضع في الحسبان البنية الفكرية العقدية التي تميزه عن تلك الأنظمة التي تجعل المادة فوق كل اعتبار، و لا تقيم كبير وزن للجانب الروحي في هذه العملية المعقدة ذات الأبعاد المختلفة.

– أكدت الدراسات و البحوث التربوية الحديثة و المعاصرة أن التوجه التربوي الإسلامي لا يقف ممانعا لشروط العملية التربوية في مبادئها العامة مثل عنصر الترابط و المرونة و الأصالة و غيرها، و لاسيما في جوانبها الشكلية، بحيث يتفق التوجه الإسلامي مع مختلف التوجهات الأخرى في المبادئ العامة الجوهرية التي ترمي إلى اتخاذ الخطوات العملية من أجل البناء، ووضع اللبنات الأساسة التي من شأنها ضمان طرق تربوية كفيلة بتربية النشء و تعليمه في إطار مبادئ التعاليم السمحة التي تعمل على خلق التوازن بين ماهو مادي و ما هو روحي دون تغليب جانب على آخر كما هو الشأن في الفلسفة المثالية أو الوجودية مثلا، و عليه فإن منطلقات و أهداف المناهج و الطرق التربوية غالبا ما تنطلق من أهداف عامة شبه موحدة و لكنها تختلف في التفاصيل.

و يمكن التنويه في الختام إلى أن النزعة التربوية في ضوء التوجه الإسلامي يؤطرها منهاج دراسي تتخلله آليات حديثة مشبعة بما توصلت إليه الطرق التربوية المختلفة في إطارها الشكلي تحديدا من أجل إيصال المعلومة و بث الفهم للنشء، مع المحافظة على القيم و المفاهيم المستمدة من ديننا الإسلامي الحنيف.

الهوامش و الإحالات

1- د/سعيد التل، الخطوط العامة لبنية مقترحة لأنظمة التعليم في أقطار الوطن العربي، المجلة العربية للتربية، العدد الأول 1998، ص 121/120.

2- د/عمر محمد التومي الشيباني، التعليم و قضايا المجتمع العربي المعاصر، جامعة قاريونس بنغازي، د ت، ص14.

3- صادق سمعان، الفلسفة التربوية، محاولة لتجديد ميدان فلسفة التربية، القاهرة، دار النهضة العربية، 1962، ص123-125

4- د/عمر محمد التومي الشيباني، التعليم و قضايا المجتمع العربي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص23.

5- أحمد حسين عبيد، فلسفة النظام التعليمي، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، 1976، ص32.

6- د/ محمد التومي الشيباني، الاتجاهات الحديثة في مفهوم التربية الجماهيرية، المنشأة العامة للنشر و التوزيع و الإعلام، القاهرة 1980، ص261.

7- وائل عبد الرحمن التل و محمد شعراوي، أصول التربية الفلسفية الاجتماعية و النفسية، دار الحامد للنشر و التوزيع، عمان الأردن 2007، ص57-58 .

8- د/عمر محمد التومي الشيباني، التعليم و قضايا المجتمع العربي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص35

9- المرجع نفسه، ص25 .

10- المرجع نفسه، ص26 .

11- المرجع نفسه، ص29 .

12- المرجع نفسه، ص30 .

13- القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 31

14- القرآن الكريم، سورة الملك، الآية 30 .

15- القرآن الكريم، سورة ص، الآية 71-72 .

16- القرآن الكريم، سورة القصص، الآية 77 .

17- القرآن الكريم، سورة المجادلة، الآية 11.

18- عادل الغول، الإنسان ذلك المعلوم- من سلسلة زدني علمي، دار عويدات، ص81.